Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسؤال هنا هو: ماهذه القدرية الصارمة التي كررت في حياة البنت ماسبقت إليه الأم؟ كيف انقلبت رحابة المصادفات التي تعج بها الرواية إلى كل هذا القسر؟

يبقى السؤال معلقاً، فيما الرواية تزجّ حكاية نافع بين الحكايات: يتمه ونشأته في كنف عمّه، مانصب عمه وبهيرة للفصل بينه وبين وداد، سفره مع زوجته جليلة -ابنة عمه إلى فرنسا، موت عمه والعودة إلى حلب، موت جليلة، وصول ابنه من وداد (اسماعيل) حاملاً رسالتها، وأخيراً: عيش نافع وابنه في البيت الذي صادفه الراوي فصادف الحكاية -الحكايات، واسماعيل إذن هو الابن الذي تنكر خادماً للشيخ- أبيه، لأنه ابن حرام.

إنها سلسلة متراكبة من الحكايات التي تتدافر فيها الميلودرامية. ثم تأتي (البوليسية) التي تسم حكاية- حكايات الراوي المهندس نفسه، فلنتبين ذلك قبل أن نمضي إلى ماانتهى إليه ذلك وسواه في بناء الرواية.

حكاية الهامش:

الحكاية الأساس إذن هي حكاية الشيخ نافع، أي حكايات بديعة ووداد وبهيرة والعم واسماعيل والدكتور وليد فارس و و.... إنها حكاية -حكايات ماانقضى منذ السفر برلك والحرب العالمية الأولى حتى الخمسينات. أما ماجرى للمهندس الراوي قبل وأثناء وقوعه في مصيدة الحكاية الأساس، حكاية المتن، فيبدو مع ماتفرع منها وانضاف إليها هامشاً، لكنه لايذيل المتن ولايوازيه، بل يشتبك معه.

منذ الاستهلال الذي يخصّ الراوي وحده، تأتي حكاية المختار مرهج وابنته في واحدة من الاستطرادات التي ستتوالى كما يتوالى تبرير الراوي لها، وأول ذلك قوله "وليعذرني القارئ بسبب هذه الاستطرادات فقد حذرته منذ البداية بأنني لاأفقه شيئاً في أساليب كتابة الحكايات بشكل أدبي صحيح ثم إن علي أن أقول مايخطر إلي فوراً وإلا فاتت القارئ بعض الحقائق التي أرى من الواجب الإشارة إليها قبل نسيانها"(ص10).

جراء ذلك يكون الاستباق أو الارتجاع أو القطع المفاجئ ثم المتابعة، سواء فيما يخصّ المهندس أو الشيخ، المتن أو الهامش، وفيما يبدو ملاعبة سردية بريئة وساذجة وفطرية، بعيداً عن فذلكة وحذلقة الكتّاب، وسخرية مضمرة منها ومنهم.

وإلى ذلك اختصّ الراوي أيضاً بعنوان الفصل الثالث (كيف خطط اسماعيل